قل لن ينفعكم الفرار

المؤلف: أيمن الظـواهري [معلومـات عـن المؤلـف | مـــــــــــواد أخـــــــــــرى للمؤلـــــــــــف]
[تاريخ النشر: 2-6-1423 هـ]

تذكرت في هذه الأيام وأنا أتأمل في الأخبار الـتي تـرد علينا من داخـل مصـر وخارجهـا عـن الضـجة المفتعلـة الـتي يصـطنعها الإعلام حـول تصـريحات البعـض الـتي يكررونهـا ثـم يتلقفهـا الإعلام ليضـخمها وينفـخ فيهـا ويضيف إليها الحواشي والشروح والتعليقات حـول مـا يســـمى "بالمبـــادرة الســـلمية" فـــي مصـــر.

أقول تذكرت موقف الشيخ سيد قطب رحمة الله حينما طلبت منه أخته أن يكتب استرحاماً لعبد الناصـر فقـال قولته التي سجلت في تاريخ الدعوات نبراساً لمن بعده : (إن الأصبع التي تشهد لله بالوحدانية كل يوم خمـس مـرات يسـتحيل عليهـا أن تكتـب اسـترحاماً لظـالم) ، وتعجبت كيف غاب هذا المعنى الواضـح الجلـي القـوي عن أذهـان مـن كـانوا يزعمـون أنهـم مـن محـبي سـيد قطـب ومـن المتـأثرين بـأقواله، وكيـف اختفـى مـن تصـــريحاتهم.

وتعجبت أيضاً من حجم الافـتراء الـذي يمـارس وتقلـب فيه الحقائق وتُعظَّم فيه الصغائر وتُصغَّر فيه العظائم.

وتعجبت أكثر من جرأة هؤلاء الـذين يـدركون أن شـباب الحركة الإسلامية يعرفون من هم، ومـاذا فعلـوا، وإلام انتهـــوا.

ثـم تـأملت انقلاب المواقـف والأقـوال، مـن الحماسـة الزائدة في الأقـوال والنقـد اللاذع وغمـز الغيـر بـأنهم متثـاقلون مـترددون إلـى الخضـوع المفـرط للنظـام واستجدائه حلاًّ، والتصفيق له كلما أفـرج عـن مجموعـة مـن الأسـرى، وتسـاءلت لمـاذا لا ينطقـون بكلمـة عـن

جرائم النظام الـتي لـم تتوقـف يومـاً علـى الصـعيدين الخارجي والداخلي، وعن سجونه، التي تفغـر أفواهها لتبتلع كل يوم العشرات، وعن الفساد الذي تغـرق فيـه مصر إلى أذنيها والـذي لـم يسـتطع صـحفيو الحكومـة أنفسـهم أن يتكتمـوه.

وتعجبت فيما تعجبت منه مـن بـرود هـؤلاء وصـفاقتهم وهـم يتكلمـون عـن تحريـر القـدس عـبر الاستسـلام للنظام مبرِّرين بـذلك استسـلامهم، وهـم مـتيقنون أن النـاس يضـحكون ملـء أشـداقهم مـن هـذا التهريـج.

وإذا كـان مـا ذكرنـا هـو بعـض أحـوال المناضـلين المجاهـدين الثـائرين الـذين كـانت دمـاؤهم تغلـي كالمراجـل ثـم أصـبحت بـاردة كالجليـد بعـد أن عاشـوا الحضـارة والمدنيـة، وتمتعـوا بالاسـتقرار تحـت مظلـة اللجـوء السياسـي، وضـمان النظـام الـدولي الجديـد، وشـهامة أخلاق أوروبـا المتحضـرة، ونزاهـة حضـارة الغـرب ومـاديته.

أقول إذا كـان ذلـك هـو حـال مـن يـدَّعون القيـادة فـي الجهـاد أو يُوصـفون بهـا فلا عجـب مـن أحـوال مـن يزعمـون أنهـم وسـطاء المجاهـدين ووكلاؤهـم، ممـن ارتضوا العيش والحريـة والحركـة تحـت مظلـة النظـام المصـري.

لـذا لـم يكـن غريبـاً أن يكتـب أحـدهم – بلا حيـاء – بـأنه يطالب بعودة نشاط الحركة الجهادية علنياً تحـت سـمع الحكومـة وبصـرها - لكـي ترعاهـا وتكلأهـا - وبضـمانه ووسـاطته ومبـادراته وتعهـداته.

ولم يكـن غريبـاً أيضـاً أن يصـدر منهـم مـا يصـدر وهـم يتحركون في حرية ويتصلون بوكالات الأنباء، ويقابلون الصـحفيين، ويـدلون بالأحـاديث للقنـوات الفضـائية، ويعقـدون فـي مكـاتبهم المـؤتمرات الصـحفية، بـل ويروحون ويجيئون عبر بوابات السجون المغلقة منذ ما يزيـد علـى أربـع سـنوات ينشـرون دعـوة الاستسـلام والإرجاف والتثبيط، ويحصلون من المعتقلين البؤسـاء

المقهورين على بيانات التراجع عن الجهاد، ثم يطيرون بها إلى وكالات الأنباء لتكون مدار حديث الصحف والمجلات والإذاعات.

إن ظهور هؤلاء المتراجعين الناكصين وأولئك المخذلين المرجفين أمر عرفه تاريخ الدعوات وسيرة الرسل والصالحين عبر مراحل التاريخ.

ونحن في هذا المقام نحذر هؤلاء وأمثالهم من أن يكون حالهم كحال الطوائف المترددة المذبذبة المتسارعة إلى الفرار من ميدان الجهاد التي حكى عنها القرآن الكريم، ونذكرهم بحال الطائفة الثابتة المطمئنة الباقية على عهدها مع ربها والموفية بميثاقها مع خالقها التي لم تزعزعها الحوادث ولم تهزها الابتلاءات ولم تزدها الشدائد إلا إيماناً وتسليماً.

{ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا * ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً * من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً }.

وها هي سنة الله التي لا تتخلف، ووعده الذي لا يتبدل بتمكينه لعباده الثابتين الصابرين المرابطين.. { ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا * وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقا * وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها وكان الله على كل شيء قديرا }.

نعم إنها نفس القصة تتكرر ونفس السنة تعاد ولا تتبدل، وكما تتكرر نفس القصة فسيتكرر أيضاً مصير أطرافها، فليحذر كل امرئ من مصير السابقين من المخذلين ولْيَسْعَ جاهداً إلى المصير الذي يرجوه المجاهدون وإلى أقوم طريق.

طريق تعب فيه آدم وناح لأجله نوح، ورُمي في النار الخليل، وأضجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونشر بالمنشار زكريا، وذُبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضرَّ أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد صلى الله عليه وسلم .

قال تعالى { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب }.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين